الأماكن المسيحية في فلسطين

أورشليم

درب الآلام

لقد ظهرت تسمية درب الآلام (أو شارع مسير الصليب)، في القرن ١٦م. هكذا دعوا تلك المسافة من الطريق التي قطعها يسوع محني الظهر تحت ثقل صليبه، من قلعة أنطونيوس إلى الجلجثة. وهذه القطعة من الطريق ليست دقيقة الآن بالمقارنة مع تلك التي سار عليها يسوع فعلاً في حينه. فلم يبق الآن من قلعة أنطونيوس الواقعة في الزاوية الشمالية - الغربية من المعبد، مقر الملك هيرودوس سابقاً، سوى بقايا أرض المقرّ. وهنا مثل المسيح أمام بيلاطس، وهنا أدين وحكم عليه، ومن هنا سار على طريقه الأخيرة إلى الجلجثة، التي كانت تقع زمنئذٍ خارج أسوار المدينة.

درب الآلام

وها كم أكثر أماكن هذا الدرب قدسية:

دير الجلْد. حسب الرواية أن بيلاطس حقق مع يسوع هنا. وفي الوقت الحاضر يعود هذا الدير إلى أخويه الفرنسيسكان، حيث يبدؤون مسيرة من هنا في كل يوم جمعة. وتوجد داخل الدير الآن ثلاث نوافذ زجاجية حديثة تحمل لوحات تمثل: المسيح يتلقى الآلام مقيداً إلى عمود (في الوسط)، وبيلاطس يغسل يديه «من دم هذا الصدّيق (على اليسار)، وخلاص بربارا (على اليمين). وهناك على قبة المذبح إكليل شوك مذهب مرصع بالنجوم.

القنطرة «Esse Homo» في درب الآلام. من القرن ١٦م أخذ الحجاج يدعون هذه القنطرة بالكلمات التي قالها بيلاطس للحشد لدى تقديمه يسوع: «Esse Homo» (= «هذا الإنسان»). وفي واقع الحال أن الحديث يجري عن جزء من قوس النصر الذي بني في العام ١٣٥م بأمر من هادريان تخليداً لذكرى الاستيلاء على القدس. وكانت هذه القنطرة في حينه قنطرة مركزية: كان الباع الجنوبي للقنطرة الذي لم يعد له وجود الآن، يقع في داخل مجلس الدراويش المسلمين، بينما لا يزال باعها اليميني ظاهراً حتى الآن في مصلّى كنيسة الأخوات الصهيونيات.

المصلى الصغير، بناه جنود كاثوليك من الحامية البولونية، وهو يدل اليوم على المكان الذي سقط فيه يسوع أول مرة تحت صليبه. والمصلّى اليوم بين يدي بطريرك الأرمن الكاثوليك.

الصليب الذي حفر ليخلد ذكرى لقاء يسوع والنسوة العفيفات

المصلى الصغير ذو النقش البارز، الذي بناه النحات البولوني زيلينسكي علامة على المكان الذي قابل فيه يسوع والدة الإله.

ويتبين من نقش محفور على واحد من أبواب بناء في درب الآلام أن سمعان القيرواني قد حمل صليب المسيح من هذا المكان حتى الجلجثة. وهذا ما تؤكده الأناجيل كلّها ما عدا إنجيل يوحنا، الذي لم يشر إلى الحدث.

المكان الذي قابل فيه يسوع فيرونيكا. ويقع قبر فيرونيكا هذه في داخل كنيسة صغيرة.

وفي المكان الذي يتقاطع فيه الدرب مسير الصليب مع شارع تجاري صاخب، يقوم عمود في المكان الذي وقع المسيح فيه ثانية تحت صليبه.

وهناك صليب صغير محفور على سور دير اليونانيين، ليذكر بمشهد لقاء يسوع بالنسوة العفيفات: «لقد توجّه يسوع إليهن مخاطباً: لا تبكيني يا بنات أورشليم، بل ابكين أنفسكن وأولادكن» (لوقا).

العمود الروماني، يقع غير بعيد عن مدخل الدير الابيسيني، ويدلّ على المكان الذي سقط المسيح فيه تحت صليبه للمرة الثالثة.

القبر المقدّس

القبر المقدّس، هو المكان الأكثر قدسية في أورشليم، يثير مشاعر مكنونة لدى أي زائر مهما كان انتماؤه الديني. ويتداخل هنا في هذا المكان، التاريخ مع الأسطورة، والرأفة الإنسانية مع الإيمان الديني. وكل من يزور هذا المكان يعيش حالة انفعالية شديدة، وقلقاً روحياً كبيراً إذ يرى الكنيسة المفتوحة أمامه.

مدخل القبر المقدس

وفي زمن ما كان هذا المكان يقع خارج أسوار المدينة، لأنه كان المكان الذي يجري فيه تنفيذ أحكام الإعدام. ولا ريب في أنه كان أكثر علواً، لكي يدب الذعر في نفوس السكان الذين يشاهدون عن بعد التاعسين المحكومين. وقد دعي المكان بالجلجثة، وهي تسمية مشتقة من كلمة «جُلْجُلة»، ومعناها «التل الجمجمي»؛ فشكل هذا التل كان يشبه شكل الجمجمة فعلاً، زد إلى هذا أن الخرافة تقول إن جمجمة آدم كانت مدفونة

هنا. وفي العام ١٣٥م رأى الإمبراطور هادريان أن هذا التلّ بالذات هو المكان الأكثر ملائمة لبناء ساحة وكابيتوليا حيث كان يجب أن تقام طقوس عبادة الثالوث جوبتر، وجونو، وفينوس. فعلى هذا النحو أراد هادريان أن يهين شعور المؤمنين اليهود، الذين واصلوا تبجيل باقي الأماكن المقدسة بعد تدمير معبد أورشليم. ولحسن الحظ أن هادريان لم يقتلع صخور المكان التي كانت محفورة فيها المقابر، واكتفى بردم الحفر حتى صارت على مستوى الأرض، فجمع لذلك كماً كبيراً من التراب اللازم. لعملية الردم، وعلى هذا النحو نشأ تلّ كبير من الردميات، شكّل أساساً لبناء المعبد الكابيتولي، وأنقذ القبر من الفناء. ففي العام ٣٢٥م كانت يلينا والدة قسطنطين الكبير، ومعها الأسقف مكاريوس على ثقة راسخة بأنهما عثرا على قبر المسيح تحت معبد الكابيتول هذا. وسرعان ما كشفت أعمال التنقيب التي بدأت بأمر من الإمبراطورة، عن قبر المسيح، وقد كان القبر شبه سليم تقريباً، وعثر في مكان غير بعيد عن القبر، على صليب يسوع، وصليبيّ اللصين اللذين صلبا معه. فأمر قسطنطين بأن تبنى في المكان أول كنيسة، وبدأ العمل ببنائها في العام ٣٢٦م، وانتهى في العام ٣٣٥م. وبناء على أمره نقلت من المكان كلّ الكتل الصخرية، ما عدا كتلتين: واحدة من الجلجثة أقيم في مكانها صليب توجّ بكأس النعمة، والثانية من قبر المسيح أحيطت بمنشأة دائرية كبيرة. هاتان الصخرتان اقتلعتا من مكانيهما الأصل وأبقي عليهما هناك. ودعي المعبد باسم أناستاسيس، ومعناها: القيامة. ولكن الدير دمرّ في العام ٦١٤م على أيدي القوات الفارسية.، وبعد خمسة عشر عاماً أعيد بناؤه في عهد الأباتي موديستوس. ولكن الخليفة الحاكم بأمره سواه بالأرض في العام ١٠٠٩م.

وعندما دخل الصليبيون المدينة في ١٥ تموز من العام ١٠٩٩م، ورأوا الكنيسة على الصورة التي بناها بها قسطنطين مونوماخ، عبروا عن إعجابهم بجمالها، لكنهم رأوا أنها ليست عظيمة إلى الحدّ اللائق بأن يدفن فيها جسد المخلّص. فأدخلوا عليها تحسينات جوهرية، وزخرفوها زخرفة فخمة، وفي العام ١١٤٩م كرسوها. وبقيت في صورتها الجديدة تلك حتى العام ١٨٠٨م عندما دمر حريق كبير القسم الأكبر منها.

ويتوزع القبر المقدس بين ست طوائف دينية: الطائفة الكاثوليكية والطائفة اليونانية الأرثوذكسية، والطائفة الأرمنية (بين أيدي هذه الطوائف دائرة واسعة من المكان)، والطائفة القبطية، والطائفة السريانية، والطائفة الابيسينية (يقع دير هذه الأخيرة على سطح الكنيسة).

الجلجثة

تقع على الجلجثة التي يقود إليها الآن سلّم منحدر، كنيستان صغيرتان: إحداهما رومانية كاثوليكية، والأخرى يونانية أرثوذكسية. ويقف الحجاج في الكنيسة الرومانية عادة، أمام يسوع العاري والمسيح المعلق على الصليب. أما في الكنيسة الإغريقية فيأتي المؤمنون إلى رسم ليسوع الميت على الصليب. وتقع تحت الصليب قمة صخرة تقول الحكاية إن الصليب قد نصب فوقها. وعلموا هذا المكان بعلامة فضية. ويقوم بين الكنيستين رسم يدعى Stabat Mater (= الأم الباكية)، يخلد ذكرى أحزان الأم بعد موت ولدها.

حجر المسح

هو حجر كلسي عادي وردي اللون، يرمز عند الشعوب اللاتينية إلى المكان الذي نضحوا فيه جسد يسوع «بسبعة طيوب والندّ» بعد إنزاله عن الصليب، وهنا أيضاً بكت أُمّ الإله ابنها قبل أن يحملوا جثمانه إلى القبر.

قبر الرب

تقع هذه المنشأة في وسط الاناستاسيس. ويمكن الوصول من المصليات اللاتينية إلى كنيسة صغيرة تتألف من منطقتين: الأولى هي مصلى الملاك، وتحفظ في وسطها كسرات الصخرة التي تقول الحكاية، إن الملاك كان يجلس عليها عندما وصلت النسوة إلى القبر الفارغ. أما المنطقة الثانية فهي حجرة صغيرة تدعى «جهنم اركوسوليوم»، وتعد آخر محطة في درب الآلام. وتقع هنا تحت صفيحة من المرمر الأبيض طولها حوالي المترين،

منظر عام لنعش الرب

صخرة بقيت من عهد القبر الجديد الذي كان يقع في بستان يوسف الرامي. وقد علقوا هنا فوق القبر ٤٣ قنديلاً فضياً: ١٣ قنديلاً لاتينياً، ومثلها من القناديل اليونانية والأرمنية، وأربعة قناديل أرمنية. وتغطي أيقونة للعذراء ماريا جزءاً من القبر البسيط المحفور في الصخرة.

الحبس المقدّس

هو مكان ضيق، يدعى أيضاً حبس المسيح، ولكنه في واقع الأمر زنزانة قديمة تجاور ساحة الكابيتول. وحسب الحكاية أن يسوع قضى ليلة في هذا الحبس بعد أن قبض عليه في بستان جثيماني.

المظهر الداخلي لسجن المسيح

كنيسة القدّيسة يلينا

لقد كرست هذه الكنيسة الساحرة لوالدة قسطنطين، التي بفضل إيمانها القوى عثرت على قبر المسيح وصليبه. ويروى أن يلينا كانت تراقب أعمال الحفر والتنقيب عبر الفجوة التي تطل على المذبح الرئيس. وثمة في الكنيسة ثلاثة محاريب، وقبة بناها الصليبيون في العام ١١٣٠م، وترتفع القبة على أربعة أعمدة يرقى تاريخها إلى القرن ١١م. وتقع هذه الكنيسة الآن بين يدي الطائفة الأرمنية.

قبر يوسف الرامي

قبر يوسف الرامي

هذا هو المكان الوحيد من القبر المقدس، الذي يقع بين يدي الطائفة الابيسينية. فهذا القبر الصغير المحفور في قلب صخرة، هو عبارة عن مدفن يهودي قديم يقع على مقربة من قبر يسوع. ويوسف الرامي، هو بدوره «إنسان صالح صديق ينتظر الملكوت الإلهي»، وهو عضو السيندريون الذي كان يملك الأرض التي يقع فيها قبر المسيح.

كنيسة القديس مرقس

منذ القرن ٧ قامت في هذا المكان كنيسة أعاد الصليبيون فيما بعد ترميمها. وتعد الكنيسة الآن جزءاً من دير السريان الأرثوذكس الذي شيد في القرن ١٩م.

كنيسة القديس يعقوب

هي كنيسة الأرمن الأرثوذكس. اكتسبت شكلها الراهن بعد الترميم الذي أجري على بنائها القديم الذي شيد في القرن ١١م. وكانت الكنيسة قد شيدت تخليداً لذكرى آلام يعقوب الكبير أخ يوحنا الإنجيلي واستشهاده، إذ قطعت رأسه في العام ٤٤م تنفيذاً لأمر هيرودوس أغريبا الأول، ابن أخت (أو أخ - م) هيرودوس الكبير. وقد لاحق أغريبا هذا المسيحيين ونكل بهم طوال فترة حكمه (٤١-٤٤م)، سعياً لكسب ود الكهنوت اليهودي. وثمة في الكنيسة حجارة من أماكن مقدسة عند الإسرائيليين؛ من جبل سيناء، وجبل تابور، وضفاف الأردن.

كنيسة القديس يوحنا المعمدان

في القرن ١١م شيّدت الكنيسة اليونانية الأرثوذكسية المكرسة ليوحنا المعمدان. فوق معبد كان قد بني في القرن ٥م.

وادي قدرون

يكفي أن نلقي نظرة واحدة على وادي قدرون من أعلى الطريق التي تمتد أسفل سهل المعبد، حتى ندرك لماذا كان هذا المكان يقلق قلوب سكان أورشليم منذ أقدم العصور. فصرامة المنظر، وندرة النباتات والقبور المحفورة في قلب الصخور، أو التائهة بين شجر الزيتون، هذا كله يعطي المكان بعداً خرافياً لا واقعياً. ويقول الناس، إن الموتى سوف يبعثون هنا يوم القيامة. وسوف يمتد خيط رفيع من سهل المعبد إلى جبل الزيتون، يمشي الموتى عليه: يصل الصالحون إلى الجهة الأخرى، ويسقط الأشرار في الوادي تحت. تلكم هي الخرافة. أما التاريخ فإنه يشهد على أن هذه المقابر الآثارية تنتمي إلى العصر الهليني، بصرف النظر عن أنهم يدعونها خطأ مقابر الأنبياء. فهنا يقع قبر يهو شافاط، وقبر القديس يعقوب، وقبر زكريا الذي له شكل هرم. أما أعمدة ابشالوم، التي تدعى أيضاً «التاج الفرعوني»، لأن قممها مخروطية الشكل، وترقى إلى زمن المعبد الثاني، فهي تذكرنا بابن داود الذي ثار ضد والده. وحسب سفر الملوك الثاني أن «ابشالوم أقام لنفسه تمثالاً في وادي الملوك، لأنه قال: ليس لي ولد ليحفظ اسمي. ودعا التمثال باسمه. وهو يدعى «تمثال ابشالوم» حتى يومنا هذا».

بانوراما وادي قدرون. تظهر على اليسار أعمدة أبشالوم. وقبر يعقوب وقبر زكريا

كنيسة قبر والدة الإله

تنتمي هذه الكنيسة من حيث مظهرها إلى زمن الصليبيين (القرن ١١م). وهي الآن بين يدي الطائفة اليونانية الأرثوذكسية. ويقع داخل الكنيسة قبرا والدي ماريا: حنة ويواكيم، وقبر زوجها يوسف. وقبر والدة الإله محفور في قلب صخرة ومزدان بكثرة من الأيقونات، والقناديل الثمينة واللوحات. وقد شقت في صفيحة القبر ثلاثة ثقوب كبيرة تمكن المؤمنين من ملامسة السطح الداخلي لقبر ماريا. ولكن ينبغي ألا ننسى أنه ثمة قبر آخر لمريم في أفَسُس، في تركيا (هناك رواية تقول، إن يوحنا الرسول أخذ أم يسوع معه إلى أفَسُس وهناك توفيت).

جثسيماني - كنيسة الأمم

لقد اشتقت تسمية جثسيماني من الكلمة العبرية جات شيمين، ومعناها «بستان معصرة الزيتون». ففي هذا المكان صلى يسوع ليلاً قبيل إلقاء القبض عليه. وبني هنا في القرن الميلادي الرابع معبد، وسِّع فيما بعد وتحول إلى دير للصليبيين. وقد بنى الكنيسة الحالية المزدانة بموزاييك واسع، الإيطالي أنطونيو بارلوتسي في الفترة العامين ١٩١٩ و١٩٢٤، على أنقاض المنشاة القديمة. ورسمت على سقف الكنيسة من الداخل شعارات الأمم التي ساهمت في ترميم المكان المقدس، وثمة في أرض الكنيسة أمام المذبح إكليل شوك من الحديد المطوي، يحيط بكسرة من الصخرة التي تقول الراوية إن يسوع صلى عليها. ويصور الموزاييك الذي فوق المذبح، المسيح في آلامه، وعلى الجانبين لوحة موزاييك أخرى تصور مشهد قبلة يهوذا واعتقال يسوع.

كنيسة جثسيماني

قبر البستان

ويدعى أيضاً جلجثة موردون، وهو اسم الضابط الإنكليزي الذي اكتشفه من فوق مرتفعات بوابات دمشق. ويحتوي هذا المكان الوعر في محيط البستان على قبر قديم يرى فيه كثير من المسيحيين القبر الحقيقي الذي دفن فيه يسوع. وإذا نظرت إلى التل من مختلف الزوايا، فسوف ترى أن له فعلاً شكل الجمجمة. ضف إلى هذا أن كثيراً من خصائص المكان الأخرى مثل وجود خزان كبير، ومعصرة عنب، وقرب المكان نفسه من بوابات المدينة، يرغم كثيرين على الاعتقاد بأن هذا المكان هو البديل الفعلي للقبر المقدس.

قبر أليعازر

يقول إنجيل يوحنا: «كان أليعازر الذي من بيت عنيا مريضاً، وهو من القرية التي كانت تعيش فيها ماريا ومرثا أختها.. وكانت بيت عنيا قريبة من أورشليم. ولا تبعد عنها سوى خمس عشرة مرحلة». وتدعى بيت عنيا اليوم عازارخ، وهي تسمية عربية أخذت من العازارية القديمة التي كانت هنا في الزمن البيزنطي. وبقيت حتى يومنا هذا آثار ثلاثة مصليات كانت قد شيدت في الأزمنة القديمة تخليداً لذكرى واحدة من أشهر معجزات يسوع. ويمكن الوصول إلى قبر أليعازر الذي يقع اليوم بين أيدي المسلمين، عبر سلم منحدر مؤلف من ٢٤ درجة كانت قد قدّت منذ القرن ١٧م: هنا سجّي جثمان أليعازر الذي أقامه يسوع بكلمة منه.

قبر أليعازر من الداخل

كنيسة الصعود

يقول الإنجيل إن يسوع ظهر لأتباعه بعد أربعين يوماً على قيامته، وقادهم إلى جبل الزيتون، «وبعد أن باركهم، أخذ ينفصل عنهم ثم أصعد إلى السماء» (لوقا). وبذا تكون قد انتهت حياة المسيح على الأرض. وتخليداً لذكرى تلك المعجزة، شيدت في المكان كنيسة. ومنذ القرن ١٣م وقعت هذه بين أيدي المسلمين، الذين يرون في يسوع واحداً من الأنبياء العظام.

وقد طرأت على الكنيسة تبدلات مهمة. فبنيتها الأولى كانت على شكل رواق دائري قناطره مفتوحة. ومع ذلك كانت تحفظ في المصلّى صخرة عليها بصمة قدمين تقول الحكاية إنهما أثرا قدمي يسوع لحظة صعوده إلى السماء.

كنيسة القديس بطرس

يذكّر الاسم الذي أعطي لهذه الكنيسة بالمشهد الذي أنكر فيه بطرس معلمه ثلاث مرات. وقد كرست الكنيسة الحالية في العام ١٩٣١م، وهي الآن تابعة لأخوية الرقاد الكاثوليكية، وكانت قد شيدت على أنقاض بازيليكا بيزنطية. وقد افترض بعض العلماء، أن منزل قيافا رئيس الكهنة، كان يقوم في هذا المكان عينه، لكن هذه الفرضية لم تحظ حتى الآن بأي دليل. وكانت تمتد هنا كذلك طريق جميلة تقطعها درجات سلم المكابيين، الذي كان يصل في القرن ١م، جبل صهيون بوادي قدرون.

كنيسة القديس بطرس

الوليمة

يحفظ جبل صهيون الواقع جنوب غربي المدينة القديمة، واحدة من أهم ذخائر المسيحيين. فمنذ أقدم الأزمنة المسيحية شاع رأي يقول، إن العشاء السري الذي أقر أثناءه سر الأفخارستيا، قد جرى هنا في هذا المكان.

وبعد سبعة أسابيع، ظهر هنا أيضاً الروح القدس لماريا والرسل في اليوم الثالث. والمكان عبارة عن قاعة تتميز بجملة من القناطرة وكانت القاعة شيدت في زمن الحملات الصليبية. وفي القرن ١٥م استولى المسلمون على جبل صهيون وحولوا الكنيسة إلى مسجد، وحرموا على المسيحيين واليهود دخولها طوال خمسة قرون تقريباً.

كنيسة الرقاد

لقد بنيت هذه الكنيسة البينيدكيتية في الفترة بين ١٩٠٠ و١٩١٠م، وفق تصميم وضعه هنريخ رينار وفق الأسلوب الروماني بأجراسه المقببة، وشيدت الكنيسة في المكان الذي تقول الرواية، إن والدة الإله رقدت فيه. وفي ديماس الكنيسة تمثال مريم مستلقية في رقادها الأخير.

ديماس فيه تمثال لماريا الراقدة في كنيسة الرقاد

بيت لحم

تنتشر بيت لحم على تل يقع على بعد عدة كيلومترات عن أورشليم. ولاسم هذه المدينة معنيان: «بيت الخبز» (من العبرية بين ليخيم)، و «بيت اللحم» (من العربية بيت لحم). وتمتد حول بيت لحم مراع شاسعة يسرح فيها الرعاة بقطعانهم. ويحمل أحد هذه المراعي اسم «شيفردس فيلدس» (=«حقل الراعي»، لأن الملاك بشر هنا حسب الحكاية، بولادة يسوع. لقد كانت هذه المراعي شاهدة على حياة الرغد، وقصة الحب الشهيرة بين بوعوز وراعوث، التي رواها لنا سفر راعوث التوراتي. وابن راعوث من ذلك الزواج، هو عوبيد جد داود. وداود كما هو معروف أول ملك يهودي عظيم، وكان قد ولد في بيت لحم قبل ألف عام من مولد يسوع. وهكذا فإن بيت لحم المقدسة بالنسبة لليهود، باتت أكثر قدسية بالنسبة للمسيحيين، لأن ابن الإله رأى النور فيها.

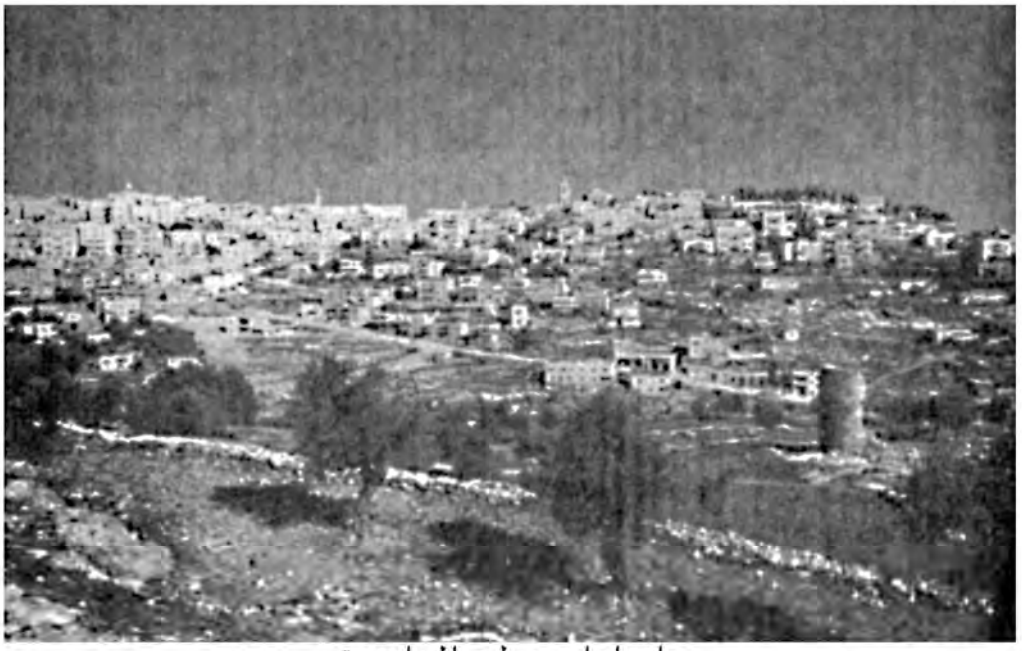

بانوراما بيت لحم المعاصرة

«في تلك الأيام أصدر قيصر أغسطس أمراً بإجراء إحصاء في كل الأرض» (لوقا). ومن المعروف أن فرض الضرائب كان من أهم وظائف الإدارة الرومانية، وكان الغرض الرئيس للإحصاء الذي أجري في عهد أغسطس، عندما كان والي مقاطعة سوريا، هو بوبليوس

سولبيوس كويرينوس، هو جباية الضرائب والرسوم من السكان. وبما أن القانون كان يفرض على كل مالك أن يعلن عن الأرض التي يملكها لكي يصار إلى مسحها وتقدير الضريبة المفروضة عليها، فقد اضطر يوسف أن يسافر من الناصرة إلى بيت لحم حيث مسقط رأس العائلة، وحيث كانت له أملاك (على ذمة المؤلفة. فلو كان ليوسف أي أملاك، أو حتى أقارب في بيت لحم لما اضطرت مريم لأن تضع مولودها يسوع في مغارة أو مزود حيوانات أو..م) «ومضى يوسف كذلك من الجليل، من مدينة الناصرة، إلى اليهودية، إلى مدينة داود التي تدعى بيت لحم، لأنه كان من بيت داود وسلالته، لكي يسجل مع ماريا التي كانت مخطوبة له زوجة، وكانت حاملاً. وبينما كانا هناك حل ميعاد وضعها، ووضعت ابنها البكر، وقمطته ووضعته في المزود، لأنه لم يكن لهما مكان ينزلان فيه» (لوقا). على هذا النحو وصف لوقا الحدث الذي قضى ببدء العصر الجديد. ولا يزال تاريخ مولد يسوع غير محدد تحديداً دقيقاً حتى الآن: يرى الكاثوليك الرومان أنه ولد في ٢٤ كانون الأول من العام ٥ (أو العام ٤ حسب معطيات أخرى)، ويرى اليونان الأرثوذكس أنه ولد في ٦ كانون الثاني، أما الأرمن فيؤكدون أنه ولد في ١٨ كانون الثاني. وفي العام ١٣٥م تجاهل الإمبراطور هادريان مشاعر الحجاج الذين كانوا يقدسون هذه الأماكن وكرس الغابة والمغارة لأدون مؤسساً بذلك العبادة الوثنية. وفي العام ٣٣٢م أمر قسطنطين الكبير بقطع الغابة وبناء بازيليكا أشرفت على أعمال بنائها والدته يلينا بنفسها. ولم يبق من تلك البازيليكا سوى البنية الأساسية، أي أقسام الكنيسة الخمسة التي تفصل بينها أربعة أنساق من الأعمدة يبلغ عددها أحد عشر عموداً، وكذلك جزء صغير من أرضية من الموزاييك. وبعد حوالي القرنين من تكريسها دمرت البازيليكا، ثم أعاد جستنيان بناءها، وأضاف إليها ثلاثة محاريب، وسلمين جانبيين يؤديان إلى مغارة الميلاد. وفي العام ٦١٤م نجت البازيليكا بأعجوبة من الاجتياح الفارسي، إذ توقف الغزاة أمام اللوحة الموزاييكية التي كانت تزين واجهتها وفيها يظهر المجوس.

مدخل البازيليكا الذي يدعى (باب الطاعة)

وفي العام ١١٠١ توج بلدوين الأول في هذه البازيليكا ملكاً، وبعد عشرين عاماً توج بلدوين الثاني وزوجته فيها. ثم تلا ذلك عصر طويل من الانحطاط. وفي العام ١٦٤٦م صهر الأتراك رصاص سقف البازيليكا واستخدموه لصب المدافع. وإلى الزمن نفسه يرجع تاريخ القرار الذي اتخذته الطوائف المسيحية بتضييق الباب الذي يؤدي إلى داخل البازيليكا، كي لا يدخل إليها الكفرة ممتطين صهوات خيولهم. ولا يتجاوز ارتفاع هذا الباب المتر الواحد والعشرين سنتمتراً، وهو يدعى «باب الطاعة»، لأن أحداً لا يستطيع أن يعبره إلا إذا أحنى قامته.

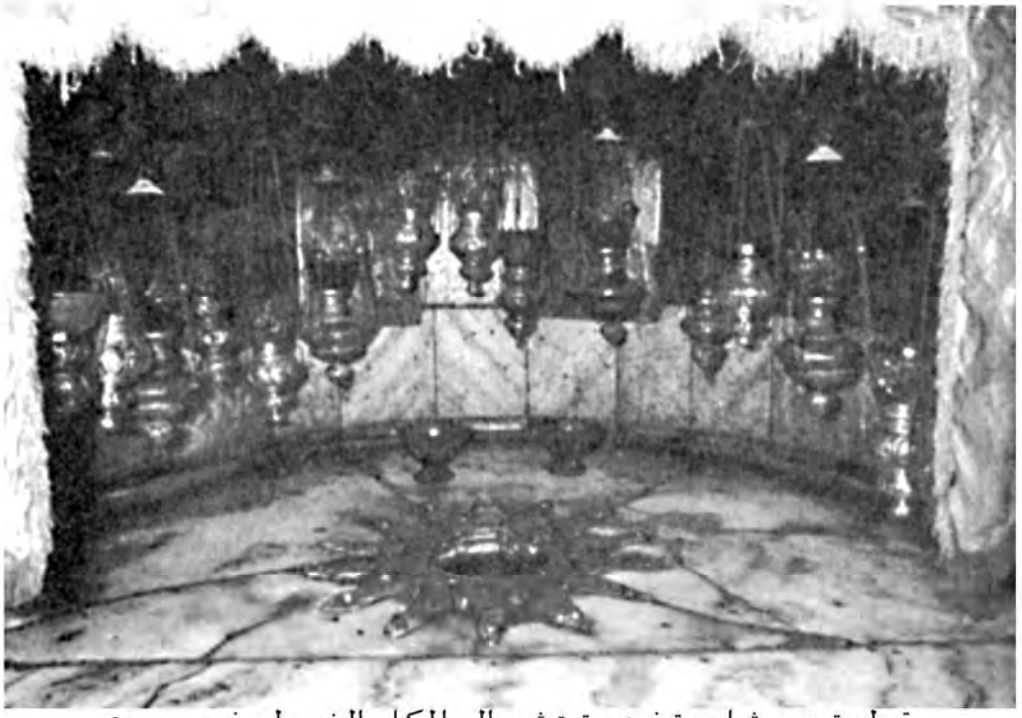

قطعة من شاهدة فضية تشير إلى المكان الذي ولد فيه يسوع

مغارة الميلاد

تعد المغارة الآن من أملاك الطائفة اليونانية الأرثوذكسية، وتمثل مكاناً صغيراً له جدران مغطاة جزئياً بالمرمر. وثمة في المغارة محراب صغير فيه مذبح مولد المسيح يزينه خمسة عشر قنديلاً فضياً تعود ملكيتها لمختلف الطوائف المسيحية، وقد علقت القناديل فوق نجمة فضية تشير إلى المكان الذي ولد فيه الطفل. وقدت على النجمة كلمات لاتينية معناها: «هنا ولدت العذراء ماريا يسوع المسيح». وعلى جانبي المغارة محرابان صغيران متواجهان. أحدهما محراب المزود الذي وضع فيه يسوع الطفل فور ولادته. وكانت

القديسة يلينا قد عثرت هناك على مزود طيني كان المؤمنون يسجدون أمامه، فاستبدلت به مزوداً فضياً. ومقابل هذا المذبح يقوم مذبح المجوس الذين سجدوا في المكان عينه ليسوع الطفل.

مغارة الميلاد مع مذبح ميلاد المسيح ومذبح المزود

وتتصل مغارة الميلاد بجملة من المغارات الأخرى التي يمكن الوصول إليها عبر كنيسة القديسة كاترينا التي بناها الفرنسيسكان في العام ١٨٨١، وفيها يقيمون كل عام قداس الميلاد الذي ينقل عبر الأقمار الصناعية إلى شتى أرجاء العالم المسيحي.

ويروى أن القديس هيرولام قد أقام ٣٥ عاماً: من العام ٣٨٥ إلى العام ٤٢٠، في واحدة من هذه المغارات؛ وكان هيرولام هذا من كبار العارفين باللغات الإغريقية، واللاتينية، واليهودية، والآرامية. وخلال إقامته تلك التي امتدت حتى مماته، أنهى ترجمته للتوراة التي عرفت بالفولغاتا.

وأقيم لهيرولام هنا تمثال يقوم في رواق بديع داخل الدير، مزدان بالزهور والنخيل، ويرجع تاريخه إلى زمن الصليبيين.

خربة قمران

على الشاطئ الشمالي الغربي للبحر الميت تقع الآن أطلال مستوطنة رهبانية كان يقطنها ممثلو طائفة اليسيين اليهودية خلال الفترة من القرن ٢ق.م حتى العام ٦٨م، عندما استولى فوج فسباسيان على المنطقة وطرد أتباع الطائفة منها. فتخفى كثير منهم في مسعدة وعاشوا مشاعة في تلك الأماكن، ملتزمين قواعد وطقوساً تشبه شبهاً عجيباً نمط عيش الجماعات المسيحية الأولى. لقد قضى مبدأ اليسيين بنمط عيش متقشف تقشفاً صارماً بعيداً البعد كله عن ترف أورشليم. لقد رحل أتباع «معلم الحق» وهي التسمية التي تسمى اليسيون بها ، إلى البراري لكي يعيشوا عيشة فقر وشح متقاسمين ثمار عملهم مع أخوتهم في الطائفة. وكانوا يتطهرون بمعمودية الماء وطقوس الاغتسال الأخرى، ويدرسون الكتب المقدسة ويعملون الفكر فيها منتظرين النهاية الوشيكة لهذا العالم.

أطلال مستوطنة قمران على مقربة من البحر الميت

وكانت الوليمة في الطائفة مشتركة تشبه الفعل المقدس شبهاً كبيراً، فقد كانت قاعة الوليمة تطهّر بالماء، وكان هذا أمراً فريداً من نوعه، إذا ما أخذنا بالحسبان الجفاف الاستثنائي الذي تتميز به المنطقة التي اختارها اليسيون لعيشهم. ولكن سكان قمران القدماء أحسنوا تنظيم أمورهم في هذا الميدان: لقد بنوا منظومة خزانات وأنابيب تحمل المياه إلى حجر البناء كله، وكانت الخزانات تغذى بدورها بوساطة أنابيب تنقل الماء من المرتفعات الغربية، ويمكن للمرء أن يميز بين أنقاض المستوطنة مختلف ضروب المنشآت والحجر التي أعدت لتلبية هذه أو تلك من حاجات الطائفة: مطابخ، وحوانيت ومبنى إداري كبير أو مكتبة، كانت تعد فيها اللفائف الشهيرة التي عثر عليها في المغاور المجاورة، وهناك أيضاً قاعة الوليمة المشتركة التي نوهنا إليها أعلاه، وبعض ورش الحرفيين التي كانت تصنع فيها الأواني الضرورية لحاجات الطائفة. وتثير الاهتمام أيضاً قصة المخطوطات التي اكتشفها أحد الرعاة مصادفة في العام ١٩٤٧م، في مغارة تقع غير بعيد عن المستوطنة. وانطلقت إثر تلك اللقية أعمال البحث في المغارات المجاورة وأسفرت عن العثور على حوالي ست مائة مخطوطة بينت الدراسات فيما بعد أنها تنتمي إلى العصر الذي كانت مكتبة اليسيين هذه موجودة فيه. لقد كانت لفائف المخطوطات محفوظة في جرار فخارية مغلقة بإحكام، كما كانت كل لفيفة ملفوفة بقطعة من الكتان، الأمر الذي يدل على أن الذين خبّؤوها سعوا إلى المحافظة عليها لزمن طويل. ولكن اللفائف التي عثر عليها في المغارات المجاورة لم تحظ بمثل هذه العناية الدقيقة نفسها، الأمر الذي يوحي بأن اليسيين أعدوها على عجل بسبب اضطرارهم إلى الفرار من المكان. ويبدو أن ذلك قد حدث إبان الانتفاضة الفلسطينية في العام ٦٦م. وتعد المخطوطات التي وضعت باللغة العبرية واللغة اليونانية الآرامية أقدم بألف عام من أقدم نسخ العهد القديم المعروفة قبل العام ١٩٤٧. فهذه المخطوطات تحتوي على نصوص الكتاب التوراتي اليهودي كلها (ما عدا سفر استير)، وعلى نصوص قانونية، ونصوص العهد القديم المنحولة، وبعض المؤلفات التي وضعها القمرانيون أنفسهم ووصفوا فيها معايير الطائفة ومبادئها ومقولاتها.

القيصرية

يذكرنا اسم هذه المدينة بالفخامة التي بنيت فيها عشية بدء التأريخ الميلادي، إذ بناها هيرودوس الكبير على شرف قيصر وزينها، وزخرف أبنيتها بالمرمر، والتماثيل البديعة، إلا أنه لم يبق من هذا كله حتى الآن سوى أطلال. لقد كانت القيصرية مقر الحكام الرومان. وتعاقبت عليها شعوب كثيرة، وحكام كثيرون، فقد عدت المدينة ذات أهمية إستراتيجية كونها تقع على مقربة من شاطئ البحر: بدءاً من الفينيقيين الذين كانوا أول من أسس قاعدتهم هنا في القرن ٤ق.م، وصولاً إلى الصليبيين الذين نزلوا في تلك الأماكن في العام ١١٠١، وحولوها بعد سلسلة من الأحداث المتعاقبة إلى مدينة عسكرية محصنة. ولا تزال أسوار الملك الفرنسي لودفيغ التاسع، وأطلال القلعة حتى يومنا هذا تشهد على الماضي الذي ارتبط بالرهبان المقاتلين الذين أعادوا للمسيحية من هذه الأماكن كأس غرآل المقدسة، التي تقول الحكاية إن المسيح استخدمها ليلة العشاء السري لإقامة سر الافخارسيتا. وعلى هذا النحو فإن المدينة غنية بتقاليد مجيدة، وذكريات عن ماض بطولي، لكنها في الآن عينه مطرح للأحزان والخوف: بعد انتفاضتي العامين ٦٦م و١٣١م في فلسطين، ألقي بآلاف الناس على مسرح القيصرية الرحب، وأطلقت عليهم الوحوش الضارية.

المنطقة الآثارية في القيصرية

الناصرة

يعني هذا الاسم من جملة ما يعنيه باللغتين العربية والعبرية: «المؤيدة، الحارسة و...»، وإذا كان اسمها قد أشار في بادئ الأمر إلى الدور الاستراتيجي لهذه المستوطنة التي تقع على مرتفع جبلي يمتد منه مدى مفتوح على وادي عزرلون، فإنه اكتسب بعد ذلك مغزى آخر مختلف. فقد اقترن اسم الناصرة بعد ذلك بذاك الدور الذي خصها التاريخ به، إذ غدت حافظة التقاليد المسيحية تحت رقابة عين الآباء الفرنسيسكان التي لا تغمض؛ فقد أدار هؤلاء على مدى أربعة قرون الإرث الروحي الذي كانت الناصرة مهده.

بانوراما الناصرة. وتظهر فيها بازيليكا البشارة

وبصرف النظر عن كون هذه الأرض كانت مسكونة منذ أقدم الأزمنة، إلاّ أن القرية التي انصرمت فيها طفولة المسيح بقيت زمناً طويلاً فاقدة كل أفق يبشّرها بأن تتحول إلى مدينة. ولكن، مع وصول الصليبيين في العام ١٠٩٩م، صارت الناصرة مقراً للأسقفية، ومركزاً إدارياً لإقليم الجليل كله. ثم طرد الصليبيون من المدينة وعادوا إليها مرات؛ وفي العام ١٢٦٣ دمّرها الأتراك، وقد أهملت منذئذٍ وحتى القرن ١٧. ومع عودة الفرنسيسكان إليها في القرن المذكور، أخذت الحياة تدب في المكان من جديد، وشرع المسيحيون يتوافدون للعيش فيه.

والناصرة اليوم من حيث تركيبتها الاثنية - الدينية، مدينة متنوعة جداً: إضافة إلى العرب المسلمين واليهود، الذين يعيشون معزولاً أحدهما عن الآخر عملياً (يعيش العرب في المدينة القديمة، واليهود في الأحياء جديدة). هناك أيضاً المسيحيون العرب، واليونان الكاثوليك الملكيون، واليونان الأرثوذكس، والرومان الكاثوليك، والماروئيون، وسوى ذلك من الطوائف التي لكل منها مطارحه المقدسة.

وأكبر كنائس المدينة هي بازيليكا البشارة التي شيدت على المغارة الخرافية التي سمعت فيها ماريا جبرائيل يبشرها بقرب صيرورتها أماً. والحديث يجري هنا عن المبنى الخامس الذي بني في هذا المكان المقدس تخليداً لذكرى الحدث الأثير لدى المسيحيين. ويرجع تاريخ أول مبنى في البازيليكا إلى العام ٣٥٦م، وحسب الرواية آن يلينا والدة قسطنطين أشرفت بنفسها على بنائه. وبعد ذلك بنى البيزنطيون، والصليبيون، والفرنسيسكان الكنائس الأخرى. وفي العام ١٩٥٥ هدم معبد هؤلاء الأخيرين وبنيت البازيليكا الحالية في مكانه، وقد انتهى العمل في بنائها في العام ١٩٦٩. وفي وسط المحراب الرئيس ينفتح باب يقود إلى مصلى، حيث تقوم هناك مغارة والدة الإله مع عمود تابع لها كتب عليه «آفي ماريا»، ويعيّن العمود المكان الذي تقول الحكاية، إن الملاك ظهر فيه.

بازيليكا البشارة

كما تملك أخوية الفرنسيسكان كنيسة القديس يوسف أيضاً، وكانت هذه قد شيدت في المكان الذي يقال إن ورشة يوسف النجار كانت تقوم عليه. ولكن المكان متنازع عليه بين دير النسوة الناصريات ودير القديس غبرييل. وما تجدر الإشارة إليه، هو أن هذا النزاع، ليس النزاع الوحيد. فثمة نزاعات ذات طابع آخر، إذ تشكك في صحة تحديد مكان ظهور الملاك لماريا، كنيسة القديس غبرييل اليونانية الأرثوذكسية التي تقع غير بعيد عن نافورة العذراء، التي تستمد ماءها من الينبوع الذي ينبجس تحت الكنيسة مباشرة (حسب هذه الرواية، أن هذا المكان بالذات، هو المكان الذي ظهر الملاك فيه). ومن المباني الدينية الأخرى التي تستحق الاهتمام: كنيسة الساليزيان التي تعد واحدة من تحف فن العمارة في القرن ٢٠، والمسجد الأبيض الذي بنى على أنقاض كنيس ورد الحديث عنه في إنجيل لوقا، عندما هاجم الحشد يسوع وحاول أن يرمي به من فوق ريف الصخور؛ والكنيسة القبطية، والكنيسة المارونية، والمصلى الذي يحمل اسم: وليمة يسوع.

كنيسة القديس يوسف التي بنيت في نفس المكان المفترض أنه كان يمارس النجارة فيه

جبل تابور (الطور)

يرتفع في محيط مدينة الناصرة، حيث يبدو أن كل حجر يذكر بالماضي التاريخي والديني، يرتفع جبل الطور، الذي يظهر انتماؤه إلى الذخائر المقدسة في تسميته العربية: جبل الطور، وهو الاسم الذي يرجّع أصداء الديانة الفينيقية القديمة. ويتردد اسم هذا الجبل غير مرة في النص التوراتي، فقد كان الجبل يقع على الحدود بين الأرض التي كانت تسكنها قبيلة زوبولون، والأرض التي تسكنها قبيلة يساكر، والأرض التي تسكنها قبيلة نفتاليم؛ وعلى هذا الجبل أمرت النبية ديبورة باراك أن يجمع عشرة آلاف مقاتل ويهاجم قوات يابين الملك الكنعاني الذي يضطهد أبناء إسرائيل منذ عشرين عاماً (قضاة)، وعن هذا الجبل تحدث أيضاً النبي عوسيا عندما وبخ الإسرائيليين لأنهم تحولوا إلى عبادة الأصنام. وأخيراً حسب الروايات المسيحية، أن الرب تجلى على هذا الجبل، وتخليداً لذكرى الحدث المقدس شيدت في المكان في العام ١٩٢٣ بازيليكا التجلي، وهي آخر سلسلة المباني المقدسة التي كان قد طالها دمار الحروب الدينية التي وقعت في القرون السابقة.

جبل تابور (الطور)

طبريا (بحيرة جينيسارت)

تعد بحيرة طبريا التي انتشرت على شواطئها مدينة تحمل الاسم عينه، بحيرة داخلية ظهرت عند نهاية الزمن الجيولوجي الثالث إثر تبدلات عنيفة في بنية المكان أدت إلى ابتلاع وادي نهر الأردن. وكانت جمالية المكان، ومناخه اللطيف، ووجود ينابيع معدنية علاجية فيه، قد جعلت من هذه المرآة الطبيعية مكاناً للاستشفاء والراحة منذ أقدم الأزمنة. وبحيرة طبريا غنية جداً بالأسماك، ويصل عمق مياهها في بعض الأماكن إلى ٤٩ متراً، كما تعد خزاناً مائياً شديد الأهمية بالنسبة للمنطقة. وكقاعدة يهب على البحيرة في فصل الدفء نسيم هين لطيف، قد يتحول مساء إلى عاصفة، وهذا ما يذكرنا مباشرة بما جاء في الإنجيل عن أن يسوع هدّأ بطريقة عجيبة مياه البحيرة المضطربة: «وها هو البحر يضطرب اضطراباً عظيماً، فغطت الأمواج المركب، وكان هو نائماً. عندئذٍ تقدم تلاميذه وأيقظوه قائلين: يا رب! أنقذنا، فنحن نهلك. فقال لهم: لماذا أنتم هكذا خائفون يا قليلي الإيمان؟ ثم نهض فأمر الرياح والبحر وعم سكون عظيم. فبهت الناس وقالوا: من هذا حتى يطيعه البحر وتطيعه الرياح؟» (يوحنا). ومن المعروف أن شواطئ بحيرة جينيسارت كانت في أحيان كثيرة مكاناً لمواعظ يسوع. ومن السهل أن تجد في الأناجيل كثرة كثيرة من المشاهد التي دارت في هذا المكان (بدءاً من لقاء يعقوب ويوحنا، وسمعان): الصيد العجيبي، وتكثير الخبز، والسير فوق الماء، وكثرة لا تعد من حالات الشفاء ووعظ الحشود.

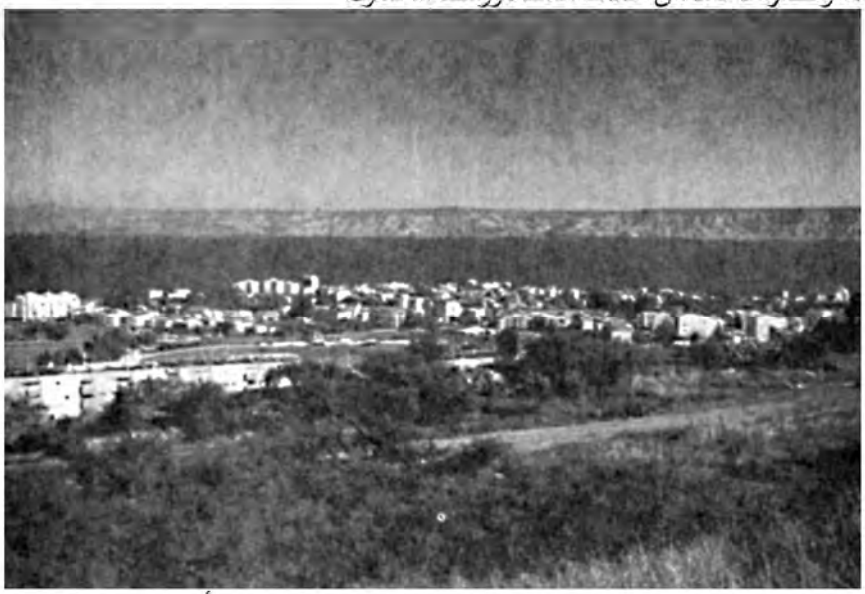

منظر يطل على طبريا والمكان الذي يخرج فيه نهر الأردن من طبريا

قرياف (كفرناحوم)

هي المدينة التي أقام فيها يسوع بعد أن ترك الناصرة. وتقع كفرناحوم إلى الشمال من بحيرة جينيسارت، على مقربة مباشرة من طرق القوافل الكبيرة التي تقود إلى سوريا. وتتحدث الأناجيل مرات كثيرة عن هذا المكان، الذي ألقى يسوع فيه مواعظه وصنع عجائبه، ولكن توبة سكان المدينة التي انتظرها يسوع طويلاً لم تحصل: «وأنت يا كفرناحوم، إلى السماء تصعدين، وإلى الجحيم تنحدرين، لأن القوى التي ظهرت فيك لو ظهرت في سدوم لبقيت حتى اليوم على قيد الحياة» (متى). ولم يبق من المدينة القديمة في أيامنا هذه سوى شاهد واحد على تلك الأيام، وهو الكنيس القديم، ومع ذلك ينبغي ألا نخلط بينه وبين المعبد الذي أعطى فيه يسوع إرشاداته الأولى لتلاميذه، ولا بينه وبين الكنيس الذي بناه قائد المئة الروماني الذي شفي خادمه بمعجزة. فكنيس قرياف هذا يرقى إلى القرن ٤م، إلى زمن الإمبراطور يوليان، وينتمي إلى مجموعة كنس الجليل الأعلى التي يرجح أن يكون الحاكم الروماني المحلي قد مول بناءها. وتشهد على صحة فرضية تمويل السلطات الرومانية لعملية البناء تلك، واقعة لا تزال قائمة حتى اليوم، وتتمثل في موضوعات الزخرفة التي زخرفت بها الكنس، وهو أمر غير معتاد عند اليهود، لأن شريعتهم تحرم تحريماً صارماً رسم أو وضع أي تصاوير أو أشكال في أماكن العبادة اليهودية.

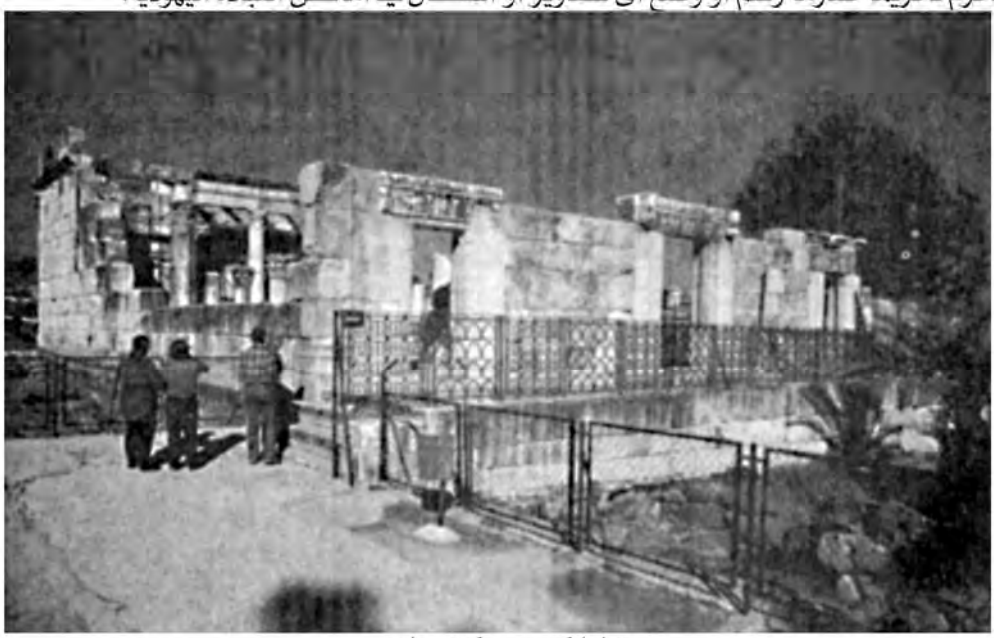

بقايا كنيس كفرناحوم

الطابغة

تمثل هذه التسمية نطقاً خاطئاً للكلمة الإغريقية «هيبتابيغون»، التي تعني «الينابيع السبعة». فثمة في المكان بعض الينابيع الكبريتية التي اشتهرت مياهها في تلك الأزمنة كوسيلة لعلاج الأمراض الجلدية، ويرد ذكر واحد من تلك الينابيع الذي تعد مياهه عالية الإشعاع فعلاً، في الحكايات القديمة: في مياه هذا الينبوع شفي أيوب من أمراضه كلها.

معبد بني على جبل الطوبى

لكن الطابغة مدينة بشهرتها أكبر المديونية للحكاية التي ترتبط بتاريخ المسيحية: وفق واحدة من روايات الحكاية التي شاعت في القرون الميلادية الأولى، أن معجزة تكثير الخبز والسمك قد حدثت هنا بالذات، وتخليداً لذكرى الحدث شيدت هنا في القرن ٤م بازيليكا. وقد وصلت إلينا منها الآن بقايا أرضيتها الموزاييكية البديعة الموجودة الآن في

مقطع من لوحة موزاييك في أرض كنيسة زاد الخبزات والسمكات في الطابغة

كنيسة الطابغة الجديدة ويمثل هذا الموزاييك تصاوير متقنة لحيوانات ونباتات. وتتميز هذه اللوحة الطبيعية بأناقة غير عادية. وفي تبها هنا أسست أخوية الفرنسيسكان ديراً تلاصقه كنيسة القديس بطرس التي تشرف على البحيرة، حيث يحكى أن يسوع ظهر لتلاميذه للمرة الثالثة بعد قيامته.

عين كرم

قرية صغيرة ضُمّت إلى مدينة القدس في العام ١٩٦١. وحسب الكتاب المقدس أن القرية مسقط رأس القديس يوحنا المعمدان. لكن المكان كان قد عرف قبل ذلك، حدثاً تاريخياً مهماً آخر: زيارة ماريا لقريبتها أليزابيت. وتخليداً لذكرى ذلك اللقاء بين الوالدتين، شيدت هنا في العام ١٩٣٩ كنيسة الزيارة (شيدها أنطونيو بارلوتسي).

منظر للمغارة التي ولد فيها يوحنا المعمدان

وشيد الفرنسيسكان ديراً لهم على المكان الذي كان يقوم عليه منزل زكريا وأليزابيت: يرقى تاريخ بنائه إلى القرن ٥م، وفيما بعد حوله العرب إلى إسطبل لخيولهم، بيد أنه أعيد ترميمه من جديد. وتقع في مصلى الدير مغارة بينيديكتوس التي يزعم أن المعمدان ولد فيها. وثمة صفيحة مرمرية هناك تذكر بالحدث بكلمات لاتينية تترجم بمعنى «هنا ولد بشير الرب».

في هذا المكان عمد المسيح على يدي يوحنا المعمدان

الإمبراطورية الرومانية
القرنان الأول والثاني م
البنطس
أوديسة
طراقيا
ألدرنيوبل
مقد
قيصرية
الرها
آسيا
كيليكية
انطاكية
سلوقية
حمص
تدمر
أفسس
ميلة
بعلبك
سور
قبرص
دمشق
أثينا
كورنثة
رودوس
صور
كريت
أورشليم
اليهودية
البتراء
الاسكندرية
العربية
هليوبوليس
سقارة
القيروان
مصر

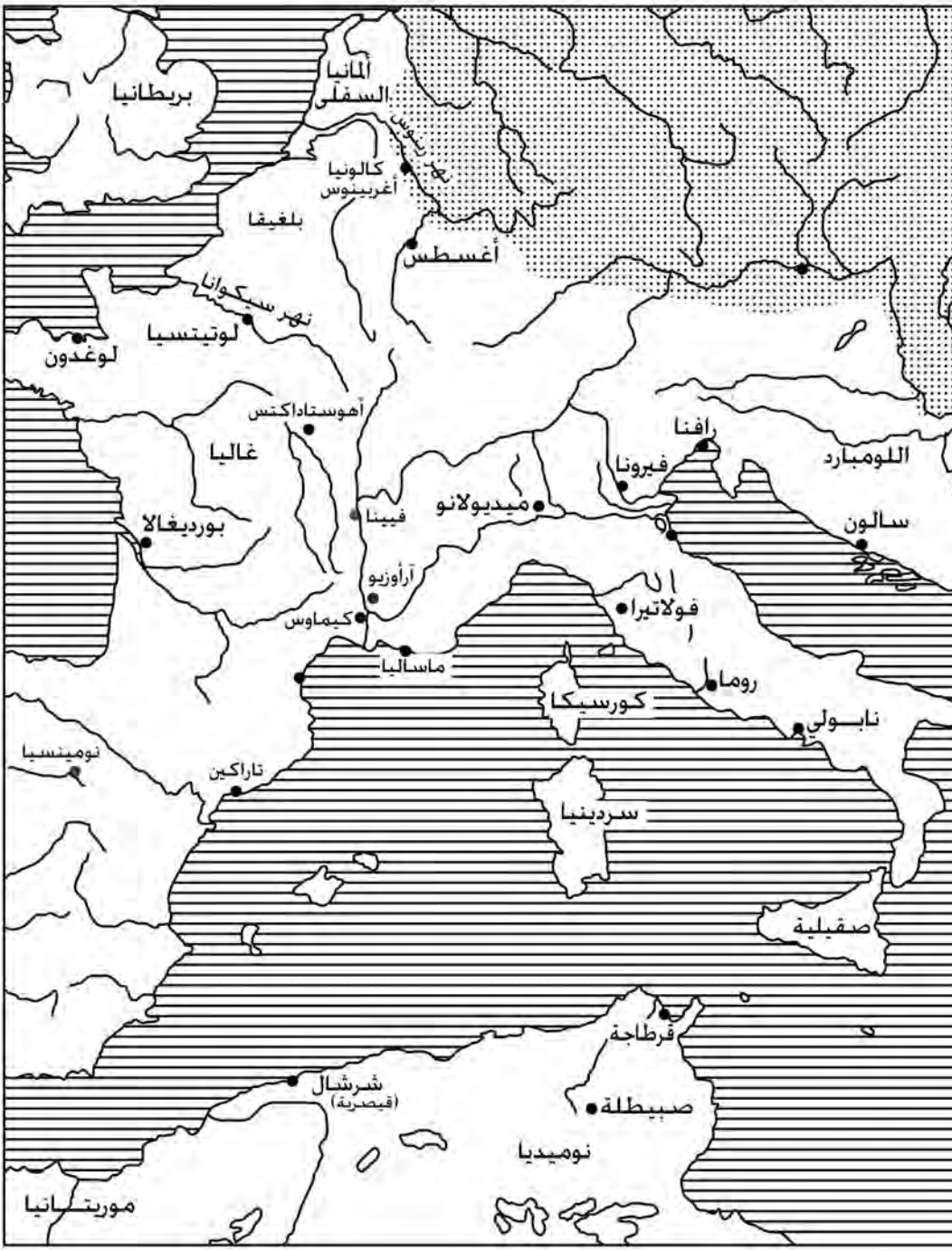
ألمانيا السفلى
بريطانيا
كالونيا أغرينيتوس
بلغيقا
أغسطس
نهر سيكوانا
لوتيتسيا
لوغدون
أهوستاداكتس
غاليا
بورديغالا
فيينا
ميديولانو
رافنا
فيرونا
اللومبارد
سالون
آرأوزيو
كيماوس
فولاتيرا
ماساليا
روما
كورسيكا
نابولي
نوميتسيا
تاراكين
سردينيا
صقلية
قرطاجة
شرشال (قيصرية)
صبيطلة
نوميديا
موريتانيا

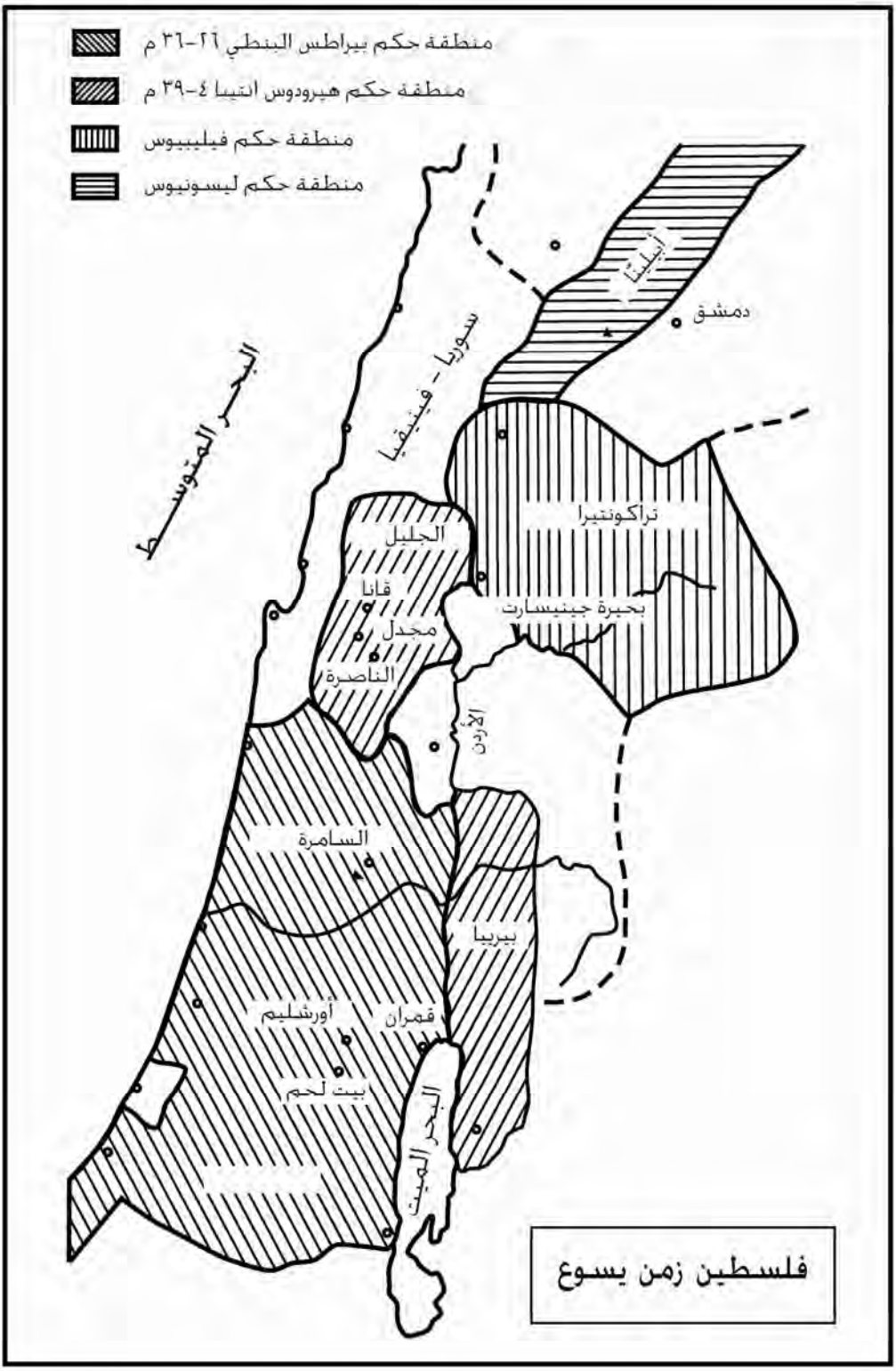
منطقة حكم بيراطس البنطي ٢٦-٣٦ م
منطقة حكم هيرودوس انتيبا ٤-٣٩ م
منطقة حكم فيليبيوس
منطقة حكم ليسونيوس
البحر المتوسط
سوريا - فينيقيا
أيطورية
دمشق
تراكونتيرا
بحيرة جينيسارت
الجليل
قانا
مجدل
الناصرة
الأردن
السامرة
بيريا
أورشليم
قمران
بيت لحم
البحر الميت
فلسطين زمن يسوع